

(المقاومات الشعبية المحلية لأولاد نايل وموقفها من مقاومة الأمير عبد القادر)

-موسى بن حسن الدرقاوي أنموذجا-

د/ لباز الطيب، جامعة الجلفة

ملخص:

يتناول المقال الدور التاريخي لعرش أولاد نايل في المقاومات الشعبية ضد الإستعمار الفرنسي إبان القرن التاسع عشر، وتم إختيارنا لأحد النماذج الهامة لهذه المقاومات، وهي تلك المقاومة التي قادها " موسى بن حسن الدرقاوي " والتي إنطلقت من منطقة أولاد نايل ووصل مداها حتى إلى الحدود الشمالية لمنطقة التيتري، كما تعرضنا إلى علاقة هذه المقاومة بمقاومة الأمير عبد القادر وإصطدامها بها وأسباب ذلك ومانتج عنه.

كلمات مفتاحية: المقاومة الشعبية، مقاومة الأمير عبد القادر، أولاد نايل

مقدمة

لا يختلف فيه إثنان أن معظم قبائل وأعراش الجزائر قد شاركت بصفة مباشرة أو بصفة غير مباشرة في تلك المقاومات الشعبية إبان القرن التاسع عشر من أجل طرد هذا المستعمر المسيحي من أرض الجزائر المسلمة .

ويعتبر عرش أولاد نايل أحد المساهمين الأوائل في الدفع بأبنائهم في ذلك المعترك الجهادي بحيث لبي أولاد نايل نداء الجهاد منذ الوهلة الأولى واعتبروا ذلك من واجهم وتفرضه عليهم عقيدتهم الإسلامية ولذلك لم يجد قادة تلك المقاومات الشعبية أي إشكال يذكر في إعداد المقاومة في منطقة أولاد نايل والتخطيط لها وتنفيذها وإلحاق هزائم متتالية في صفوف الجيوش الفرنسية الغازية التي عانت الأمرين في منطقة اولاد نايل المجاهدة.

ولم تكن منطقة أولاد نايل حاضنة لتلك المقاومات فحسب، بل ساهمت مساهمة مباشرة في الكثير من المقاومات الشعبية، بحيث لبي أولاد نايل نداء الجهاد سواء في الزيبان الزعاطشة أو في غيرها ، وأستشهد الكثير من أبنائهم في تلك المقاومات دفاعا عن قيم ومبادئ الهوية العربية الإسلامية التي ينتهي إليها عرش أولاد نايل فأصولهم الشريف الممتدة إلى الزهراء فاطمة عليها السلام كانت وراء نخوة الجهاد والكرم ونصرة المستغيث والتي هي من شيمهم إلى يومنا هذا.

فما هي أهم المقاومات الشعبية التي عرفتها منطقة أولاد نايل ؟ وما هي مواقفها من مقاومة الأمير عبد القادر؟

مقاومة موسى بن الحسن الدرقاوي

1- أصله ورحلته

تعود أصول هذه المقاومة إلى تلك الشخصية التي قادتها وهو " موسى بن علي الحسن " أو الحسين الجنيدي الرازي " بحيث كانت ولادته بمصر في "دمياط" شمال مصر وذلك في حدود عام 1211هـ/ 1796 م ، توفي والده وهو صغير فتكفل به جده الحسن الذي إرتبط بإسمه حتى نسب له (1).

كان جده جنديا في جيش محمد علي باشا الألباني الذي كان حاكما لمصر مع بداية القرن التاسع عشر وبحكم عمل الجد فإن الإبن "موسى" كان يلزمه في رحله وترحاله مع جيش محمد علي في مختلف جهات مصر وخارجها .

ومع بلوغ "موسى بن الحسن" السادسة والعشرين من عمره أصيب بمرض خبيث في رأسه ولذلك شد الرحال إلى سوريا وكان غرضه في ذلك البحث عن العلاج لهذا المرض الذي أصابه واستمرت رحلة العلاج هذه تقريبا السنة الكاملة . ومن سوريا إتجه " موسى بن الحسن" إلى مدينة القسطنطينية في تركيا والتي بقي فيها فترة من الزمن بحيث إستغل فكرة إرسال جنود إلى الجزائر فانظم إليهم وعلى إثر وصوله إلى الجزائر العاصمة فر من قافلة الجيش التركي وانتقل إلى مدينة قسنطينة ومنها إلى تونس (2).

في سنة 1826 شد "موسى بن الحسن " الرحال إلى مدينة طرابلس بليبيا في ظروف مأساوية نظرا لقلّة الزاد ومشاق الطريق فساقته القدار إلى زاوية الشيخ "سيدي محمد بن حمزة الظافري المدني " وهو شيخ الطريقة الشاذلية * الذي بقي ملازما له لفترة

من الزمن والظاهر أن شخصية شيخ الطريقة قد كان لها التأثير الواضح في مسار "موسى بن الحسن" بحيث أصبح من أتباع الطريقة الشاذلية ومن مريديها (3).

كان "موسى بن الحسن" تواقا لزيارة المغرب فإذن له الشيخ بالسفر إلى هذا البلد ونصحه بالذهاب كذلك لزيارة "سيدي العربي بن عطية" في جبال الونشريس بإقليم وهران غرب الجزائر، وقد إصطحب "موسى بن الحسن" في رحلته نحو الجزائر صديقين أحدهما يدعى "بورحلة" والثاني يسمى "عبد الرحمان بن علي" بحيث سلكا طريق الجريد التونسي وصولا إلى واد سوف بالجزائر ومنها ساقته الأقدار نحو "الأغواط" بحيث إستقر فيها بعض الوقت ومنها غادرها متجها إلى الونشريس عملا بنصيحة شيخه "سيدي محمد بن حمزة الظافري المدني" وفي طريقه مر بمدينة "المدية" والتقى بأحد أعيانها وهو الشيخ "الحاج قارة" والذي أصبحت تربطه معه علاقات صداقة قوية، توجه بعدها نحو الونشريس والتقى بالشيخ "بن العربي بن عطية" واهداه التمر وبرنوس جريدي، وبعد مكوثه ردها من الزمن إستأذن الشيخ وواصل مساره نحو الغرب أين إلتقى بالشيخ "بن علة" بحيث طاف بالإقليم الوهراني واحتك بأعيان الطريقة الشاذلية (4) الأكثر ورعا ونفوذ (5).

واصل "موسى بن الحسن" مساره غربا متجها إلى المغرب، بحيث وصل إلى الجنوب المغربي في حدود سنة 1827 وطاف في مدنه وأقاليمه والتقى هنالك بخلفاء الشيخ "العربي الدرقاوي" وبعد ما يقارب العامين قضاها في الترحال والتجوال في المدن المغربية عاد إلى الجزائر سنة 1829 بحيث كان مروره عبر مدينة معسكر التي كانت خاضعة لسلطة الباي "حسن" وهو آخر بايات الإقليم الوهراني، بحيث ألقى القبض على "موسى بن الحسن" ووضع في السجن بتهمة أنه أحد الجواسيس الفرنسيين وبعد التحقيق معه تم إطلاق سراحه فعاد أدراجه إلى مدينة الأغواط أين بدأ يدعو إلى الطريقة الدرقاوية (6).

2 -- الطريقة الدرقاوية

إرتبطت الطريقة الدرقاوية بإسم "موسى بن حسن الدرقاوي" وهي تعود في أصولها إلى الطريقة الشاذلية، بحيث ظهرت في المغرب الأقصى، وهي تنسب إلى "محمد العربي الدرقاوي" المتوفي سنة 1823 نسبة إلى قبيلة درقة، وقد خلف الشيخ بعد وفاته "محمد البوزيدي" وتوالى بعده الحنفاء ومنهم "عبد الرحمان بن الطيب" والذي كان مشرفا على الزاوية سنة 1884، والتي كانت ملجأ للكثير من الثائرين من أمثال بوعمامة وأتباعه بحيث كانت الزاوية ثائرة وناقمة على الحكومات آنذاك، وزاوية مدغرة التي أسسها "أحمد البدوي" وهو من الأشراف بحيث أعاد الشيخ "أحمد الهاشم" خليفته تنظيمها وعرف عنه معارضته للوجود الإستعماري الفرنسي في المنطقة، بحيث أعلن الجهاد في تافيلالت سنة 1888، وللدرقاوي صلة بالزاوية بحيث تتلمذ على يد الشيخ "أبي الحسن علي بن عبد الرحمان الجمالي الفاسي" (7).

فطوقسها الظاهرية تعددت الأوصاف لها، بحيث أكد البعض أن أتباعها كانوا يقلدون في ملابسهم كبار الصحابة، كلبس المرقعات، وحمل العصا وهم يرفعون كذلك على إسم الله، إضافة أنهم يفضلون العزلة ويمشون حفاة، ويحملون الجوع ولا يخالطون من الناس إلا الصالحين، ويتفادون أصحاب السلطة، كما أنهم يتميزون بصدق الكلام كما كان نومهم قليل، ويكثر من الصدقات، كما عرفوا بطاعتهم العمياء لشيخهم، ومن أشد المعارضين للوجود الإستعماري ولمظاهر الحضارة الغربية (8).

وللدرقاوية ما مقداره ثمانية فروع، وكانت بداية نشاطها في الإقليم الوهراني، ومع مرور الوقت إزداد إنتشارها بحيث وصلت إلى حدر عشر زوايا بحيث وصل تعداد أتباعها إلى حدود عشرة الآلاف، ومن أبرز شيوخها في زمن الأمير عبد القادر الشيخ العربي بن عطية وبعد وفاته خلفه عدة بن غلام صاحب زاوية أولاد الأكراد بالقرب من تيارت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كما ظهر من روادها من كان ينادي للجهاد ضد الغزو الإستعماري وعلى رأسهم "موسى بن الحسن الدرقاوي" (9).

إنطلاق المقاومة الدرقاوية وموقفها من مقاومة الأمير عبد القادر

مما لاشك فيه أن "موسى بن الحسن الدرقاوي" كان من أكثر الدعاة إلى الطريقة الدرقاوية المعادية لهذا الوجود الإستعماري ولكل مظاهر الحضارة الغربية، ومع عودته إلى مدينة الأغواط سنة 1829 بعد رحلته التي قادته إلى الجنوب المغربي ومنها إلى الغرب الجزائري ومنه ألقى عليه القبض في مدينة معسكر والتي مكث في سجنها ثلاثة أيام أطلق سراحه بعد تأكد سلطات الباي حسن صدق الرجل وإيمانه بضرورة الجهاد ضد الإعتداءات الصليبية على الجزائر، ولكي يحقق هذا المبتغى الجهادي بدأ "موسى بن

الحسن الدرقاوي" في الدعوة أولا إلى الطريقة الدرقاوية بإعتبارها أنها هي اللبنة الأولى لبناء رجال يؤمنون بالجهاد والتضحية بالنفس ، وبالفعل إستقبله السكان إستقبال الفاتحين المدافعين عن العقيدة وكانوا في ذلك متعطشين لكل الرجال ذو النزعة الدينية الجهادية (10)، بحيث بنيت له زاوية كما منحت له أملاك وأراضي وتم إسكانه في مسجد الأحلاف وهي إحدى الفرق السكانية لمدينة الأغواط ونظرا لزهده وورعه فإن " موسى بن الحسن الدرقاوي " لم يملك سكنا لنفسه وتولى المحسنون إطعامه (11) وبقي ملازما للمسجد متعبدا وصائما ومؤذنا للصلوات الخمس ، كما عين لنفسه خليفتين هما كل من محمد بلحاج على الجنوب الحاج قويدر على الشمال (12).

ظل كذلك " موسى بن الحسن الدرقاوي " في منطقة الأغواط يدعو إلى الطريقة الدرقاوية لما يقارب السنة حتى وصلت الأخبار بسقوط مدينة الجزائر تحت الإحتلال الفرنسي في جويلية 1830 فتحمس " موسى بن الحسن الدرقاوي " إلى إعلان الجهاد وإنقاذ الجزائر من هذا الإحتلال الصليبي وكان لدعوته هذه الصدى الفعال لدى سكان الأغواط ومن جاورهم من أبناء أولاد نايل ، إلا أن دعوته هذه لاقت معارضة من أحد أعيان المدينة وهو " أحمد بن سالم " الذي إستطاع التأثير في الكثير من أبناء الأغواط بعدم الإنصياع وراء دعوة الجهاد التي يدعوا إليها " موسى بن الحسن الدرقاوي " وأقنعهم بأنهم تيجانيون وأن التيجانية لم تدعوا إلى الجهاد ولذلك لم يجد " موسى بن الحسن الدرقاوي " السند الكافي من أبناء الأغواط فهم راحلا متجها جنوبا إلى غرداية والتي وصلها في ظروف مأساوية بثياب بالية مناديا في أزقتها بالذكر " الحمد لله " إلا أنه لم يجد الصدى الكافي لدعوته ففشل في مسعاه وعاد بأدراجه إلى مدينة الأغواط.(13).

في سنة 1832 قام أحد فرسان مدينة الأغواط " ناصر بن شهرة " بالسيطرة على مدينة الأغواط وذلك في إطار صراعه مع صهره " أحمد بن سالم " فتصدى له " موسى بن الحسن الدرقاوي " مع مجموعة من الفرسان وصاح في وجه فارس الأغواط الأول " ناصر بن شهرة " قائلا: " كان الأجدد بك أن توجه قوتك وفرسانك للغزاة الكفار الذين إحتلوا الجزائر وبدأوا بالتوسع نحو الداخل " لقد كان لهذا الموقف الشجاع من قبل " موسى بن الحسن الدرقاوي " تأثيره الواضح وصدق مشروعه الجهادي أمام شيخ الأغواط " أحمد بن سالم " وإمام أعيان سكانها الذين إزدادوا إقتناعا به وبأفكاره الجهادية مما كان له في إلتحاق الكثير الذين قاموا ببناء له زاوية (14).

إزداد تعاضم نفوذ " موسى بن الحسن الدرقاوي " في منطقة الأغواط وأصبح اتباعه يزدادون يوما بعد آخر مما أقلق التيجانيون الذين رأوا فيه خطر على الطريقة التيجانية وأتباعها فسعوا إلى عرقلته وضرورة التخلص منه ومن طريقته. ونظرا لما يحاك ضده في الأغواط قرر " موسى بن الحسن الدرقاوي " المغادرة إلى "مسعد" شمال الأغواط أين وجد الترحاب من عرش أولاد نايل فلقد سبقت شهرته وورعه وصدق جهاده مجيئه إلى منطقة اولاد نايل ، التي إستوطنها في نهاية سنة 1831 بحيث تم بناء له زاوية درقاوية وصل تأثيرها إلى حدود قصر البخاري والمدية فعين على هذه المناطق مجموعة من المقاديم كالشيخ أبو الأنوار والشيخ قويدر بن محمد بن عبد القادر(15).

ظل " موسى بن الحسن الدرقاوي " في التنقل والسفر المستمر من مسعد إلى الأقاليم الشمالية بحيث وصل في زيارته الماراطونية حتى إلى البليدة بحيث إلتقى الكثير من علمائها وأعيانها ومشايخها الرافضين للإحتلال الفرنسي والذين كانوا يدعون السكان إلى الجهاد في مناطق كثيرة من التل والصحراء (16) من أمثال الحاج الصغير بن سيدي علي المبارك ، ومحمد البركاني ، وابن الكبير بن يوسف بحيث وجدت لهذه الدعوات الجهادية غايتها لدى " موسى بن الحسن الدرقاوي " الذي إزدادت عزمته وسعى في تحقيق مشروعه الجهادي إنطلاقا من مناطق اولاد نايل ، بحيث بدأ دعوته الجهادية من " مسعد " ودعا الناس إلى الطرقة الدرقاوية وإلى الجهاد لمدة تفوق ثلاث سنوات فكثرت أتباعه ومريديه ، ومنها قرر الرحيل إلى الشمال الغربي من الجلفة وتحديدا في منطقة " الخضرة" بين " زينة " و "الشارف" والتي وصلها في حدود سنة 1834 م وأخذ يدعو الناس فالتف حوله الكثير من الأتباع في اوساط عرش أولاد نايل (17) الذين أجزوا له الهدايا والعطايا والهبات كما إلتحق بهذا الركب عرش العبايز في الشارف الذين لمسوا في الرجل الزهد والورع الذي كان يتميز به جدهم "عبد العزيز الحاج" مما كثر أتباعه وأصبح له صيت كبير بين عرش أولاد نايل فكثرت أتباعه خاصة في هذه الأقاليم الممتدة من " زينة" و "الشارف" ومسعد وأولاد ام الهاني ، والعبايز ، وأولاد بن علي وأولاد طعبة.(18).

في " الخضره " قام ببناء زاوية ومسجدا ومنزلا وكثر أتباعه وإزداد مريدوه وأتباعه وأصبح من الأعيان المؤثرين على توجهات عرش أولاد نايل والعبازيز ومن اجل إنجاح مشروعه الجهادي كان كثير التنقل إلى المناطق الشمالية خاصة المدينة وضواحيها التي زارها أكثر من مرة (19) ولم يقتصر تأثير " موسى بن الحسن الدرقاوي " على شمال الصحراء وعلى منطقة اولاد نايل على وجه الخصوص بل تعدى ذلك إلى المناطق التلية حيث راسلته فرقة الكراكيب بمنطقة التيطري على مؤازرتها له في إعلان الجهاد وضرورة القدوم إليها وتزامن ذلك مع توقيع الأمير عبد القادر لمعاهدة " دي ميشال " مع الفرنسيين في فيفري 1834(20).

إستجاب " موسى بن الحسن الدرقاوي " لنداء الجهاد والحاح الإخوان من فرقة الكراكيب القدوم إليهم ومما زاد في حماسه الجهادية أكثر هو توقيع " الأمير عبد القادر " لمعاهدة " دي ميشال " بحيث رآها أنها إعتراف من الأمير لهذا الوجود الصليبي على أرض إسلامية وهو الذي كان يرى في الأمير المثل الأعلى في الجهاد وإعلان راية الإسلام بل إعتبرها خيانة للوطن وإستسلام للكفار الفرنسيين المسيحيين ولذلك بدا بالدعوة إلى جمع المؤونة والتبرعات والسلاح والإستعداد للجهاد ضد الفرنسيين ولقد ساهم أولاد نايل في الإعداد لهذه الحملة الجهادية وقدموا عطايا سخية من الأموال والرجال ، وبعد أن قام بتعبئة أتباعه في كل من الأغواط ومسعد وزينية والشارف والخضره ، إنطلق في جيش قوامه أربعمائة فارس وتسعمائة من المشاة وبالرغم من تسليحهم يغلب عليه الطابع البدائي من عصي وسيوف وخناجر وأسلحة قديمة إلا ان روحهم الجهادية كانت عالية جدا (21).

وبعد الإستعداد المادي والروحي إنطلقت الحملة من منطقة الخضره متجهة شمالا وكلما مرت عبر الطريق إلا وإزداد عدد المتطوعين فلم يكده يصل هؤلاء الجهاديون

إلى نواحي " بوغار " بالقرب من قصر البخاري عتي وصل تعدادهم إلا ما يقارب ثلاثة الآلاف من الفرسان ومئتين من المشاة واصلوا السير شمالا حتى إلى مشارف المدينة أين إعترضوا سبيله مجموعة من أعيان ووجهاء وعلماء المدينة يتقدمهم صديقه " الحاج قارة " بحيث حاولوا أن يثنون عزمه وذلك أنه لا يستطيع أن يهزم الفرنسيين فقوتهم تفوق قواته عددا وعدة إلا أن إصراره على المضي قدما وعلى فتح مدينتهم له لكي يجعلها عاصمة لمقاومته جعل من هؤلاء الأعيان بانهم سيكونون مجبرين على الدفاع عن مدينتهم ، إلا أن " موسى بن الحسن الدرقاوي " حاول إقناعهم أنه لم يقطع كل هذه المسافة من أجل محاربة المسلمين بل من أجل أن يقوم بصد هؤلاء الغزاة ولما لا رمهم في البحر الذي قدموا من ورائه ، ونظرا لسوء التفاهم بين الطرفين أدى بموسى بن الحسن الدرقاوي التقدم نحو المدينة مع قواته والتي عسكر على مشارفها مع بداية سنة 1835 م (22).

لم يكن لسكان المدينة دفاعات قوية بحيث لم يكن يوجد على أسوارالمدينة سوى مدفع واحد وقديم ولم يكن حتى لبايها الرئيسي متانة وحصانة وعندما أراد سكان المدينة استخدام المدفع إنفجر في وجوههم مما إعتبره البعض منهم أنها عناية إلهية للمقاوم "موسى بن الحسن الدرقاوي " وأتباعه وحصلت مع ذلك مشادات بين الطرفين أدت إلى مقتل ستة (06) من أتباع الدرقاوي كما قتل سبعة (07) من سكان المدينة ، وإستطاع أتباع الدرقاوي التقدم داخل المدينة الأثرية وسيطروا على القلعة التي أصبحت مقر القيادة ، ومع هذا التقدم هروا الكثير من سكان المدينة رجالا ونساء واطفالا طالبين الصفح من " الدرقاوي " وهو ما قبله الشيخ " الدرقاوي " وبقية علاقات الطرفين ودية إلى حين (23). بحيث لم يرض البعض من السكان بهذا المقاوم الذي حل بمدينتهم وإعتبروا ذلك غزوا ومهانة لحقت بهم ولذلك عزموا على التخلص منه بحيث قاموا بإرسال مبعوثين إلى الأمير عبد القادر وأحمد باي يستنجدون بهم ضد " الدرقاوي " وأتباعه هذا الأخير كان على علم لما يحاك ضده بل إستطاع أتباعه الإمساك بأحد المبعوثين ومعه رسالة مفادها ((... شخص إسمه موسى هاجمنا ، ولم نستطيع التصدي له ، قواته كبيرة إنه من بيننا ، أنجدونا ، أنقذوا نساتنا وأطفالنا من الإستعباد والمهانة...)) (24).

كل ذلك لم تكن عزيمة الدرقاوي على ضرورة السيطرة على المدينة التي يعتبرها في خططه العسكرية أنها أحد المناطق الإستراتيجية الهامة وذلك لقربها من البليدة والجزائر أين يتواجد العدو الفرنسي إضافة إلى تحصيناتها الطبيعية لما تشتهر به من تضاريس معقدة وصعبة على القوات الغازية بحيث يمكن استخدام حرب العصابات التي ستضر بقوات العدو كثيرا، إضافة أنه كان لايشك أبدا في مساندة مشايخ المدينة لمقاومته ضد الفرنسيين وهم الذين دعوا سكان التل والصحراء إلى ضرورة محاربة الكفار من أمثال "محمد البركاني" و"الشيخ الصغير بن سيدي علي بن المبارك" في مليانة هذا الأخير راسله " الدرقاوي " يخبره بوصوله المدينة ويحدد معه

موعدا للقاء في البليدة إلا أن مبعوثي " الدرقاوي " تأخرا ولم يصل " الدرقاوي " أي جواب يذكر (25)، مما أدى إلى عزم الدرقاوي التحرك نحو الشمال الغربي أين وصله خبر قدوم " الأمير عبد القادر " مع جيشه لإستنجاد أهل المدينة من " الدرقاوي " وأتباعه وهذا المعطى الجديد والذي لم يكن يتوقعه " الدرقاوي " سيغير ويضعف كثيرا المعطيات الإستراتيجية التي بني عليها الدرقاوي خططه الجهادية إنطلاقا من المدينة في ظل إنسحاب الكثير من أتباعه عندما سمعوا بقدوم " الأمير عبد القادر "، وإهتمامهم أكثر بجمع الغنائم ، وهكذا لم يبق مع الدرقاوي إلا أعداد قليلة من أتباعه لم يتعد تعدادهم أربعمئة فارس وتسعمئة من المشاة ، وهم تقريبا نفس العدد الذي إنطلقت به حملته من " الخضرة " ومن أولا نايل والعبازيز وبني الأغواط وهم أتباعه الأوائل المؤمنين بالمهمة التي إنطلقوا من اجلها(26).

لقد أصبح الإصطدام وشيكا بين " الأمير " و " الدرقاوي " وقد كان لكل حجته فالدرقاوي وأتباعه المتبقيين كانت قناعتهم بأن الأمير بتوقيعه لمعاهدة دي ميشال مع الفرنسيين يعتبر إعترافا خطيرا لهذا الكيان الإستعماري على أرض الجزائر وهي بمثابة خيانة للوطن ولهذا وجبت محاربهه ، بالرغم أن إنطلاق الدرقاوي مع أتباعه في بادئ الأمر أي من منطقة أولاد نايل كانت وجهتهم محاربة العدو الفرنسي وإخراجه من أرض الجزائر ولذلك عسكر في منطقة المدينة وأصبح يبحث عن حلفاء جدد يقوي بهم تعداد جيشه ولذلك إتصل بالكثير من أعيان المنطقة وشيوخها وعلمائها وظل كذلك حتى لآخر لحظة عندما أرسل مبعوثين إلى " الشيخ الصغير بن سيدي علي بن مبارك " في مليانة إلا أن هذا الأخير لم يرد على الدرقاوي ولم يلتق معه في الموعد الذي طلبه منه الدرقاوي (27).

أما " الأمير " فلقد كان يرى في ظهور هذه المقاومة والتي يقودها " الدرقاوي " ذو الأصول المصرية إنما هي تهديد لمشروعه وتشتيت لجهود المقاومة الجزائرية في ظل قيامه بهدنة مع العدو الفرنسي على إثر معاهدة دي ميشال التي عقدها معهم ولمخطط الدولة الجزائرية التي كان يسعى لتثبيت ركائزها وتنظيم مقاومتها تحت لوائه إضافة إلى تلك الشكاوي التي كانت تصله من سكان المدينة من أجل نجدتهم وفك أسرهم الذي وضعهم فيه " الدرقاوي " وأتباعه ، وتأكيد الوشاة للأمير أن قدوم الدرقاوي مع أتباعه لم يكن هدفه محاربة الفرنسيين بل محاربة الأمير الذي خان الوطن بتوقيعه معاهدة دي ميشال، ولذلك عزم الأمير على ضرورة إيقافه والتصدي له وكان ذكاء الأمير وإستراتيجيته كبيرين عندما سارع إلى تعيين " الحاج الصغير " خليفة له على مليانة وتحضير " البركاني " ليولييه المدينة بعد أن ينسحب منها الدرقاوي وأتباعه ، ولذلك قطع الأمير بهذه التعيينات على الدرقاوي أي سبيل لإنشاء تحالفات له في المنطقة وقرر على إثرها القيام بحملة على منطقة التيطري(28).

قامت قوات " الأمير " بالإلتفات على " الدرقاوي " وأتباعه في شهر افريل من سنة 1835 وذلك على وادي وامري شرق " جندل " (29) ، وتعددت الإصطدامات بين الجانبين لأكثر من أربع ساعات بحيث إستعمل فيها جيش الأمير المدفعية ونظرا لعدم تكافؤ القوتين إنتهت تلك المعركة بإنهزام الدرقاوي وأتباعه بحيث وصلت خسائرهم إلى حدود 280 قتيلًا إضافة إلى العدد الكبير من الجرحى والأسرى إلا أن " الدرقاوي " إستطاع مع ثلة قليلة من أتباعه أن يفلت من قبضة الأمير وينسحب إلى جبال موزاية وعاد أدراجه خفية إلى مسعد بعد أن عانى في الطريق من قطاع الطرق الذين أشبعوه ضربا مع أتباعه وجردوه حتى من ملابسه ، ومع وصوله إلى منطقة أولاد نايل وبعد أن استراح واستعاد صحته وعافيته إنتقل إلى الأغواط بحيث إستدرك الدرقاوي أخطائه التي وقع فيها خاصة إصطدامه مع الأمير الذي أضعف مقاومته وبالرغم من الحماس الجهادي الذي وجدته لدى أولادنايل ولدى سكان الأغواط من اجل مواصلة الجهاد إلا أن الدرقاوي لم يتحمس لذلك في ظل الظروف التي عرفها أثناء مغامرته في منطقة المدينة(30).

إحتلت الفرنسيون " المدينة " سنة 1840 ، وكان الدرقاوي في هذه السنة لدى عرش " بني حساين " بالمدينة وعندما علموا بتواجده طاردوه على يد القائد اليهودي في الجيش الفرنسي المدعو يوسف ، كما إعتقلوا خليفته في المنطقة قويدر ، وافسدوا كل خطط الدرقاوي في هذه المنطقة ، فعاد أدراجه إلى " الخضرة " وإنتقل بعدها إلى منطقة القبائل أين قام بالكثير من اللقاءات مع أعيانها إلا أنها لم تأت بالنفع لمشروعه الجهادي فعاد إلى مسعد مجددا أين يتواجد أتباعه ، إلا أن منطقة اولاد نايل عرفت قدوم الأمير الذي تجاوب معه العرش ككل ، إضافة إلى قدوم الشريف بومعزة إلى المنطقة ، مما أدى بالجنرال " ماري مونج " إلى تنظيم حملة عسكرية في فيفري 1847 من أجل القضاء على هؤلاء المقاومين في منطقة اولاد نايل ، إلا ان الدرقاوي إستطاع الفرار إلى منطقة متليلي أين تمكن من توحيد الطرق الصوفية في المنطقة ، ومع سماعه لنداء الجهاد من الشيخ بوزيان لبي الدرقاوي هذا النداء وهب

لنصرة إخوانه في الزعاطشة الزيبان بعد أن طاف بالمنطقة يحث الناس على الجهاد فتطوع معه أكثر من مائة فارس أغلبهم من أولاد نايل الذين قدموا معه وخاضوا مع إخوانهم معارك جهادية بحيث استشهد جلهم مع شيخهم " موسى بن الحسن الدرقاوي " في شهر نوفمبر 1849(31).

خاتمة

من خلال هذه المعطيات التاريخية عن هذا المقاوم والشهيد " موسى بن الحسن الدرقاوي " نستنتج الكثير من الدلالات نوجزها فيما يلي :

1. لقد ظل " موسى بن الحسن الدرقاوي " وفيما لجهاده حتى لآخر لحظة من حياته فالبرغم من تراجع أتباعه نتيجة تلك الإنكسارات التي عرفها مشروعه الجهادي خاصة في إصطدامه مع الأمير وفقدانه الكثير من أتباعه ، إلا انه لبى نداء الجهاد ودعا الناس إلى نصرة إخوانهم في الزعاطشة الزيبان وسار بهم تحت لواء بوزيان وابنه شاوش أين أستشهدوا كلهم في سبيل نصرة الدين والوطن.

2- لم يكن مشروع "الدرقاوي" وأتباعه في إنتقالهم إلى منطقة المدية محاربة الأمير بعد توقيعه لمعاهدة دي ميشال بل كان يرى أن الأمير بهذا التوقيع قد وأد المقاومة التي كان الدرقاوي يراها بضرورة إستمرارها، ولذلك لم يتجه مباشرة لمحاربة الأمير الذي كان يعسكر غرب نهر الشلف(حسب معاهدة دي ميشال) وإنما عسكر الدرقاوي في المدية التي كان يراها أنها المنطقة الملائمة لمحاربة الفرنسيين وذلك لما تتوفر عليه من تضاريس معقدة وبحكم قربها من البليدة والجزائر أين يتواجد الفرنسيين وليس الأمير عبد القادرو قواته.

3- لعب الوشاة دورهم التاريخي في الإصطدام الذي وقع بين الدرقاوي والأمير كما رأينا في تلك الرسالة التي أرسلت إلى الأمير من أجل نجدة سكان المدية من الدرقاوي وأتباعه، كما لعبت السياسة الفرنسية المتمثلة في " فرق تسد" دورها في إضعاف الجانبين الأمير والدرقاوي ، فالفرنسيون كانوا يعلمون بتواجد الدرقاوي وأتباعه في المدية ولم يحركوا ساكنا وخططوا ونجحوا في إصطدام الرجلين .

4- فشل المقاومات الشعبية إبان القرن التاسع عشر بما فيها مقاومة الأمير عبد القادر تعود أسبابها الرئيسية إلى عدم توحيدها لا في الزمان ولا في المكان ولا في القيادة فغلبت عليها طابع الزعامات الشخصية ولم تكن بحجم المؤامرات الفرنسية الداخلية التي كانت تحاك ضدها وهي التي نخرت قواها وشتت مجهوداتها .

الإحالات:

1- يحي بوعزيز، ثورات القرن 19 م ، (الجزائر. دار البصائر. 2009) ، ص 57.

2- RA: Arnaud . vo 01 + vo 17.(1856- 1873)

3 – Arnaud. Op.cit. , p.303.

4 – Grogios R.A. , Vol.I 1856 , p.45.

5 – Ibidem.

6-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1830-1954 ، ج.3 ، دار البصائر ، الجزائر ، ص.115.

7- نفسه ، ص ص.112-113.

8- نفسه.

9- نفسه ، ص 114.

10- نفسه ، ص.115.

11- يحيى بوعزيز ، ثورات القرن 19 م ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009 ، ص.58.

12-أبو القاسم سعد الله ، نفسه ، ص.115.

13- يحيى بوعزيز ، نفسه ، ص.59.

-14 Arnaud. Op.cit. ,p.304

-15Ibid. , p.303.

-16 يحيى بوعزيز ، نفسه ، ص.59.

-17A.O.M. , 01 , serie sou serie , 31/01 , Djelfa , 1903. P.51.

-18Ibid. , pp.51-52.

19 -Arnaud. Op.cit. , p.305.

-20 إبراهيم مياسي ، روح الأمير عبد القادر عبر المقاومة الجزائرية ، دار هومه ، الجزائر ، 2012 ، ص18.

21 Arnaud. Op.cit. , p.305.-

-22 يحيى بوعزيز ، مرجع سابق ، ص.60.

-23 علي عبد الله النعاس ، سلسلة تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد باقة من العلماء والصلحاء بمدينة الجلفة وضواحيها ، دويقي ،

الأغواط ، الجزائر ، 2016 ، ص.60.

Arnaud. Op.cit. , p.308 -24

-25 يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص.60.

-26Arnaud. Op.cit. , p.308.

-27 يحيى بوعزيز ، المرجع السابق ، ص.61.

-28 محمد العربي الزبيري ، الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر ، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ، الجزائر ، 1982 ، ص.58.

-29 الأمير عبد القادر ، مذكرات الأمير عبد القادر ، جمع وتصنيف : محمد الصغير بناني واخرون ، ط.3 ، دار الأمة ، الجزائر ،

1998 ، ص.152.

-30Arnaud. Op.cit. , p.312.

31 -Ibid. , p.380.